هوامش

يعرض مزاد كريستيز، في لندن، عدداً من اللوحات التي أنجزها رئيس الوزراء البريطاني السابق، وينستون تشرشل، وكان قد رسم فيها مشاهد من مدينة مراكش المغربية، أشهرها صومعة أحد المساجد

تظهر في اللوحة أسوار مراكش متكئة على جبال الأطلس (كيت غيلون/Getty)

لوحات تشرشل

رجل المستعمرات في أعالي جبال أطلس

لندن ـ **العربي الجديد**

إلى جانب كونه أحد أشهر رؤساء الوزراء البريطانيين ووزير المستعمرات، كان وينستون تشرشل (1874 - 1965)، يمارس الفن التشكيلي، والكتابة. وككثير من الفنانين التشكيليين الذين زاروا المغرب العربي وتأثّروا في عمارته ومشاهده الطبيعية، لعلّ أبرزهم الفنان السويسري، بول كلي، الذي ألهمته زيارته تونس لوحات عديدة، كانت مرّاكش مصدر إلهام لتشرشل، الذي أنجز لوحات عديدة رسم فيها مشاهد من المدينة المغربية. من أبرز هذه اللوحات، واحدة تصوّر صومعة مسجد الكتبية التاريخي في المدينة الحمراء، وتطرحها دار كريستيز في مزاد في لندن. رسم تشرشل هذه اللوحة في عام 1943، أثناء حلوله في مراكش، خلال زيارة إلى المغرب للمشاركة في مؤتمر أنفا الذي عقده الحلفاء في الدار البيضاء، في خضم الحرب العالمية الثانية. وهي اليوم محط مزايدات تتراوح من 1،7 وصولا إلى 2،8 مليون يورو، بحسب دار كريستيز للمزادات. تعد اللوحة التي تعرضها للبيع نجمة هوليوود الأميركية أنجلينا جولي «أهم أعمال تشرشل، بالنظر إلى ارتباطها الوثيق بتاريخ القرن العشرين»، وفق ما كتبه مؤرخ الفنون البريطاني باري فيبس في الدليل الإرشادي للمزاد.

بدأ الزعيم البريطاني المحافظ الرسم في سن الأربعين. أما عشقه للمدينة الحمراء وأنوارها فبدأ في ثلاثينيات القرن الماضي، حين كان المغرب خاضعاً للحماية الفرنسية والإسبانية. وزارها ست مرات خلال 23 عاماً، هرباً من ضباب لندن وعواصف السياسة. وكتب معبراً عن إعجابه بمراكش في صحيفة «دايلي ميل» البريطانية عام 1936: «هنا، في واحات النخيل الشاسعة تلك المنبثقة من الصحراء، يكون المسافر متأكدا من أنّه سينعم بأشعة الشمس إلى ما لا نهاية (...) وبمشهد جبال الأطلس الشامخة المكسوة بالثلوج». كان تشرشل، وفق «فرانس برس»، يحب التسكّع بين أزقة المدينة العتيقة والتنزه في مرتفعات وادي أوريكة المجاور. وكان يستمتع بمشهد أطراف مراكش من شرفة فندق المامونية الشهير حيث كان يرسم لوحاته، أو من فيلا تايلور حيث كان ينزل أحياناً. في هذه الفيلا، التي أصبحت في السبعينيات محجا لأثرياء أوروبا، رسم تشرشل لوحته «برج مسجد الكتبية» بعد مشاركته في كانون الثاني/يناير 1943 في مؤتمر إلى جانب الرئيس الأميركي حينها، فرانكلين روزفلت، وقائد قوات فرنسا الحرة الجنرال شارل ديغول، وسلطان المغرب محمد الخامس، بهدف وضع استراتيجية الحلفاء في الحرب العالمية الثانية. تعود ملكية هذه الفيلا اليوم إلى العائلة الملكية المغربية، ولم تعد زيارتها متاحة. وهي توفّر «إطلالة استثنائية على المدينة العتيقة من جهة باب دكالة وحتى مسجد الكتبية وصولا إلى جبال الأطلس المكسوة بالثلوج»، كما يقول عالم النباتات عبد الرزاق بنشعبان، أحد المشرفين على حدائق ماجوريل الشهيرة بالمدينة، في تصريحات لوكالة «فرانس برس».

مما روي نقلا عن محيط تشرشل آنذاك، أنه قال لروزفلت: «لا يمكنك أن تقطع كل الطريق حتى شمال أفريقيا من دون أن تزور مراكش (...) يجب أن أكون معك لمشاهدة الشمس تغيب فوق قمم الأطلس». وتظهر صورة صحافية التقطت في تلك الفترة، الزعيمين التاريخيين يتأملان غروب الشمس على المشهد الذي استوحى منه تشرشل لوحته عن الكتبية. تجسد اللوحة صومعة هذا المسجد، الذي يعد، مع مسجد الخيرالدة (تحول إلى كاتدرائية لاحقا في إشبيلية)، من رموز الهندسة المعمارية للإمبراطورية الموحدية خلال القرن الثاني عشر. وفي خلفية اللوحة، تظهر أسوار المدينة العتيقة متكئة على جبال الأطلس.

أهدى تشرشل اللوحة إلى روزفلت قبل أن يبيعها أحد أبناء الأخير في الخمسينيات. ثم أعيد بيعها عدة مرات، حتى استقرت عام 2011 بين أيدي نجمي السينما الأميركيين أنجلينا جولي وزوجها براد بيت، قبل انفصالهما. أثمرت أولى زيارات تشرشل لمراكش عام 1935 لوحة أخرى بعنوان «مشهد في مراكش»، ستعرض هي الأخرى للبيع في مزاد كريستيز. يقدر ثمن هذه اللوحة بين 340 و578 ألف يورو، وتجسد ناحية من واحة النخيل الشهيرة في مراكش على سفوح جبال الأطلس. رسم تشرشل خلال تلك الزيارة الأولى سبع لوحات في فندق المامونية حيث أقام. كما بدأ العمل على تأليف سيرة جده الجنرال مالربورو، وفق ما أفادت إحدى حفيداته أثناء زيارتها المغرب العام 2012 لإحياء ذكراه. تحدث تشرشل كثيراً عن إعجابه بفندق المامونية، ووصف في إحدى رسائله لزوجته كليمنتاين «المشهد الرائع حقا» من غرفته.

وروت المسؤولة عن العلاقات مع الإعلام في الفندق مريم ميكو أنه «كان يتنقل من شرفة إلى أخرى متعقباً خيوط الضوء، حتى يلتقط بأفضل شكل ممكن الأضواء ويعيد تجسيدها في لوحاته»، وفق المسؤولة عن التواصل بالفندق مريم ميكو. وعلى مرّ عمليات الترميم التي تعاقبت على الفندق الفخم، تبدّدت آثار إقامة تشرشل فيه، لكن اسمه بقي؛ إذ أطلق على جناح وحانة فيه.

باختصار

رسم تشرشل إحدى اللوحات عام 1943، أثناء حلوله في مراكش، للمشاركة في مؤتمر أنفا الذي عقده الحلفاء في الدار البيضاء

■■■

كان تشرشل يحب التسكّع بين أزقة المدينة العتيقة والتنزه في مرتفعات وادي أوريكة المجاور، وكان يستمتع بمشهد أطراف مراكش

■■■

تجسد اللوحة صومعة هذا المسجد، الذي يعد من رموز الهندسة المعمارية للإمبراطورية الموحدية خلال القرن الثاني عشر

وأخيراً

اللاجئ الفلسطيني والسلّة الغذائية

سما حسن

كنت، في ثمانينيات القرن الماضي، أسترق السمع، بكلّ أسى، للحوار المعتاد، والمكرَّر، بين نسوة الحيّ الفقيرات المبتهجات، فواحدةٌ منهن تتحدّث، بفرح، عن أنّ ابنها قد حصل على بطاقة هوية، وأنها ستزوجه؛ لكي ينفصل عن بطاقة التموين الخاصة بالعائلة، فيصبح له عائلة مستقلَّة تحصل على مخصَّصات غذائية منفصلة، من وكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين (أونروا).

كان حديث الجارة المبتهج يوحي بالفرح والذكاء وحسن التدبير، إلى درجة أن تحسدها باقي الجارات، وتحسب كلٌّ واحدة كم بقي من الزمن؛ ليبلغ ابنها السادسة عشرة من العمر، ويصبح لديه بطاقة هوية، ومن ثم الانفصال عن العائلة الأم، بالزواج. وبذلك تزداد كمية الطحين والسكر والزيت. وكانت هذه الأماني الموجعة والمتواضعة أكبر ما يحلم به هؤلاء الفقراء، وهذه هي حساباتهم، وكل حديث يدور في مجلس للرجال، أو النساء، فهو عن طرق الانتفاع المتعدِّدة والمختلفة والمستحدثة بمخصصات «أونروا» التي توزعها عليهم، وفق جدول زمني محدّد، بل يقومون بالمقايضة والاستدانة، بناءً على تلك المخصّصات التي توزَّع بحسب أفراد كل أسرة؛ فتزداد بزيادة عدد أفرادها. ومرّت السنوات، وبدأت تلك المخصصات تتقلَّص، وتؤثِّر بحسابات اللاجئ الذي ظن نفسه قادراً على تأمين أقل مستلزمات العيش، في ظل اللجوء والتهجير، وموقف العالم من قضيته، ففقد ما كان يحصل عليه من مخصّصات، لكل مولود في الأسرة، لعمر السنة، فضلاً عن مخصّصاته الأساسية، كفرد جديد، أضيف إلى عدد أفراد الأسرة، ومخصّصات الأم الحامل، خلال فترة حملها، لحاجتها للتغذية والرعاية الصحية؛ فتُضاف إلى حصة الأسرة حصة خاصة لها؛ من الحليب وعلب السردين وعلب اللحم المقدَّد.

مع سنوات النكبة الأولى، تقرَّر إنشاء وكالة الغوث التابعة للأمم المتحدة، التي قدَّمت خدماتها للاجئين، على مدى أربعة أجيال، بدءاً من 1949، وتشمل تلك الخدمات المعونات العينية، من الغذاء، ثم العلاج والتعليم، والخدمات الاجتماعية في المخيَّمات. ثم بدأت «أونروا» تلوِّح بتقليصاتٍ على خدماتها، خلال سنوات عملها التي تحدث دورياً، حتى تراجعت بشكل ملحوظ، مع تراجع تبرُّعات أكبر المساهمين فيها، الولايات المتحدة الأميركية، التي ربطت ما بين المساعدة الإنسانية والمواقف السياسية. فمع رفض الفلسطينيين قرار الرئيس الأميركي السابق، ترامب، إعلان القدس عاصمة لإسرائيل، قرّرت الولايات المتحدة خفْضَ معوناتها بقيمة 65 مليون دولار، وهي الدولة التي تقدّم أكبر معونة لـ«أونروا»، ويليها الاتحاد الأوروبي، ما حدا الوكالة الأممية إلى اتخاذ قراراتٍ متتالية وتدريجية، لتقليص خدماتها المقدَّمة للفلسطينيين، في أقاليمها الخمسة: سورية ولبنان والأردن والضفة الغربية وقطاع غزة.

وقد خرجت في الأيام القليلة الماضية، مع موعد توزيع دورة المساعدات، احتجاجاتٌ غاضبة للاجئين، في أماكن توزيعهم؛ بسبب تقليص تلك الخدمات، بشكل ملحوظ، مع تأكيد المسؤولين أن تلك المساعدات هي من حقِّ كلِّ لاجئٍ فلسطيني. وقد صُنِّف اللاجئ الفلسطيني بأنه كلُّ مَن كانت فلسطين مكان إقامته الفعلية، بين يونيو/ حزيران 1946 ومايو/ أيار 1948، وفقد كلَّ ممتلكاته وأمواله ومنزله، بسبب الصراع العربي الإسرائيلي في 1948، وقد توارث الأحفاد هذا التعريف، على مدى سنوات النكبة. وبعد أن كان اللاجئ، في السنوات الأخيرة، يحصل على ما قيمته 15 دولاراً أميركيّاً، كل ثلاثة أشهر، وعلى الرغم من ضآلة ذلك المبلغ، فقد اتُّخِذ قرار تعسفيٌّ، باقتطاع جزء من هذا المبلغ، مع التحديث الدوري لخدمات الوكالة. وكان خروج اللاجئين الفلسطينيين للاحتجاج على هذا القرار، وكان أكثر ما يوجع أن نرى آباءً وأبناءً يلقون أنفسهم أمام شاحنات «أونروا» التي توزّع المؤن الغذائية، في مقرَّاتها، داخل المخيَّمات، بمعنى أن الموت أهون على هؤلاء من تقليص المعونات، في ظروفٍ صعبةٍ يمرُّ بها الفلسطيني، خصوصاً مع تفشّي الفقر والبطالة، بحلول أزمة فيروس كورونا، وما خلَّفته من تداعياتٍ على العالم أجمع، اقتصادياً ومعيشياً.

> أكثر ما يوجع أن نرى آباءً وأبناءً يُلقون أنفسهم أمام شاحنات «أونروا» التي توزّع المؤن الغذائية، في مقرّاتها

سعر النسخة: مصر **جنيهان**، تونس **900 مليم**، لبنان **1000 ليرة**، قطر **3 ريالات**، السعودية **3 ريالات**، الكويت **200 فلس**، الإمارات **3 دراهم**، عمان **300 بيزة**، البحرين **300 فلس**، الأردن **400 فلس**، العراق **500 دينار**، المغرب **4 دراهم**، الجزائر **ديناران**، اليمن **50 ريالاً**، سورية **25 ليرة**، السودان **10 جنيهات**، ليبيا **200 درهم**، موريتانيا **35 أوقية** ◻ UK **£ 1,20**, Austria **€ 2,20**, Belgium **€ 2,20**, France **€ 2,20**, Germany **€ 2,30**, Holland **€ 2,30**, Italy **€ 2,10**, Spain **€ 2,20**, Switzerland **CHF 3,50**
Turkey **TL 5,00**, USA **$ 2,00**